



كلية الآداب والعلوم  
College of Arts and Sciences  
QATAR UNIVERSITY جامعة قطر



مجلة دولية علمية محكمة - يصدرها قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم - جامعة قطر

International Scientific Journal issued by The Department of Arabic Language, College of Arts and Sciences - Qatar University

أنساك  
ANSAQ



يناير  
2017

العدد  
0

المجلد  
1



# بنية الاعتراض في الشعر العربي القديم

## «دراسة في ضوء نظرية الاتصال لرومان جاكسون»

الدكتور سالم عبد الرب السلفي

جامعة عدن - اليمن

### الملخص

إن إحدى المشكلات الأساسية في النقد الحديث هي كيفية التعامل مع النص القديم. ونحن نعتقد أن السبيل المثلى لقراءة النص القديم التزام المناهج الموضوعية التي تتأى بالناقد - قدر المستطاع - عن الانطباعات الأولية والآراء الشخصية والأفكار السابقة والمقولات الجاهزة. وفي هذا الإطار تقدم الدراسات البنيوية والأسلوبية إنجازات مهمة كلما التزم أصحابها بالموضوعية التي تتاديان بها. وقد وقع اختيارنا على نظرية الاتصال عند رومان جاكسون لأهمية هذه النظرية في الاحتفاء بها في كتب النقد الحديث، فلا يكاد كتاب نقدي معاصر يخلو من ذكرها. لكن هذا الاهتمام انحصر في الجانب النظري الذي يذكر عناصر الاتصال ووظائفها وتركيز في آخر الأمر على الوظيفة الشعرية، وهو ما أفضى إلى أن يغدو الكلام عنها مكروراً لا جديد فيه سوى تنوع المصطلحات واضطراب الترجمات!

### الكلمات المفتاح

الاعتراض - الشعر العربي القديم - نظرية الاتصال - النقد الحديث.

## Objection structure in ancient Arab poems

**Salam Abdl rab Al Salafi**

Aden-University –Yemen

### Abstract

One of the main issues that faces modern Arabic criticism is how to approach ancient Arabic poems. We believe that the perfect way to read old classic text is by applying objective methods as much as possible from the critic personal opinion and personal impressions, preconception.

In the frame the structures studies and stylistic, there are accomplishments if the critic showed a good commitment as it is required.

We chose Roman Jacobson «the communication theory «as it is important and it has been used and applied in many criticism studies and books, but we noticed this was excluded in theoretical perspective, such as communication and functional elements, and it always focuses on the poetic function. This makes the theory more repeated with various terms and disturbance translation.

### KeyWords

modern, Arabic, criticism, communication, preconception, structure, poems

## مقدمة

البحث محاولة للإفادة من النظرية تطبيقاً بعد أن استهلكت على المستوى النظري.

وقد وقع اختيارنا لتطبيق هذه النظرية على بنية لغوية متميزة، هي بنية الاعتراض، واخترنا دراستها في النص الشعري العربي القديم من العصر الجاهلي حتى العباسي، من خلال نماذجها الأكثر تداولاً في كتب البلاغة والنقد والأدب. وسبب اختيارنا هذه البنية أنها تتصف بالآتي:

1 - إنها بنية قصيرة، وهذا يساعد على السيطرة على المتن من جهة، ويناسب قصر هذا البحث من الجهة الأخرى.

2 - إنها بنية غريبة في وسطها، فنظر إليها بوصفها حالاً استثنائية وبناءً غير أصيل في هذا الوسط، وعُدت فرعاً على أصل وبنية ثانوية في بنية رئيسية، ومجرد متمم. وتوجت هذه الغربة النصية اليوم بأن وضعت بين معترضتين (-...-) فُعزلت عن باقي الكلام. كل هذا دفعنا إلى التعاطف معها، وهو تعاطف ينتهي مع بدء التناول العلمي.

3 - إنها لم تحظ -بحسب علمنا- بتناول معاصر يكشف عن قيم جديدة فيها، سوى دراسة (لكاهنة دحمون) درست فيها الجملة الاعتراضية في ضوء النظرية التداولية<sup>(1)</sup>.

وقد قسمنا هذا البحث على الوظائف الست التي تقوم عليها نظرية جاكبسون، وقدمنا بمدخل يتناول -في إيجاز- ظاهرة الاعتراض في بعض المصادر القديمة، وأبدينا رأياً في الظاهرة قبل

إحدى المشكلات الأساسية في النقد الحديث هي كيفية التعامل مع النص القديم. ونحن نعتقد أن السبيل المثلى لقراءة النص القديم التزام المناهج الموضوعية التي تنأى بالناقد -قدر المستطاع- عن الانطباعات الأولية والآراء الشخصية والأفكار السابقة والمقولات الجاهزة. وفي هذا الإطار تقدم الدراسات البنيوية والأسلوبية إنجازات مهمة كلما التزم أصحابها بالموضوعية التي تناديان بها.

ويعد رومان جاكبسون (1982م) أحد كبار النقاد اللسانيين الذين جمعوا بين البنيوية والأسلوبية في منطقة (الشعرية)، وكانت نظريته في الاتصال اللغوي أشهر إنجازاته، فقد تجاوزت حدود اللسانيات والنقد الأدبي وصار كل منتسبي العلوم الإنسانية يكتفون هذه النظرية لتخدم حقولهم المعرفية.

وتعكس أهمية هذه النظرية في الاحتفاء بها في كتب النقد الحديث، فلا يكاد كتاب نقدي معاصر يخلو من ذكرها. لكن هذا الاهتمام انحصر في الجانب النظري الذي يذكر عناصر الاتصال ووظائفها والتركيز في آخر الأمر على الوظيفة الشعرية، وهو ما أفضى إلى أن يغدو الكلام عنها مكروراً لا جديد فيه سوى تنوع المصطلحات واضطراب الترجمات!

كادت هذه النظرية تتحول إلى جسد نظري لا روح فيه، بسبب عدم استثمارها في دراسة النصوص استثماراً شاملاً، على الرغم مما تعد به من نتائج على مستوى التطبيق، فكان هذا

(1) كاهنة دحمون، الجملة الاعتراضية بنيتها ودلالاتها في الخطاب الأدبي - دراسة في ضوء النظرية التداولية.

## المحور الأول مدخل نظري

الاعتراض هو أحد أشكال الإطناب، وقد عرّفه القزويني (739هـ) بأنه «أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متّصلين معنى، بجملة أو أكثر لا محلّ لها من الإعراب؛ لنكتة»<sup>(3)</sup>. وحددت كتب البلاغة النكت أو الأغراض التي يؤدّيها الإطناب بالاعتراض، فذكرت منها، التنزيه، والدعاء، والتنبية، والتحسّر، والتعظيم، والتخصيص، والاستعطاف، وبيان السبب، والمدح<sup>(4)</sup>.

وقد قسّمه ابن الأثير (637هـ) إلى قسمين «أحدهما لا يأتي في الكلام إلا لفائدة، وهو جارٍ مجرى التوكيد. والآخر، أن يأتي في الكلام لغير فائدة، فإمّا أن يكون دخوله فيه كخروجه منه، وإمّا أن يؤثر في تأليفه نقصاً وفي معناه فساداً»<sup>(5)</sup>.

ويرى القزويني أن هناك فرقتين إزاء الاعتراض، فرقة «لا تشترط فيه أن يكون واقعاً في أثناء كلام أو بين كلامين متّصلين معنى، بل تجوز أن يقع في آخر كلام أو يليه غير متّصل به معنى... وفرقة تشترط فيه ذلك لكن لا تشترط أن يكون جملة أو أكثر من جملة»<sup>(6)</sup>. وهذا الاختلاف بين الفريقين أفضى إلى تداخل الاعتراض بمصطلحات بلاغية أخرى كالتذييل والتميم

تناول الوظائف. ثم تناولنا - في إيجاز أيضاً - نظرية الاتصال عند جاكبسون. والحرص على الإيجاز هنا يعود إلى كون الحديث عن الاعتراض ونظرية الاتصال مبذولاً في كتب كثيرة، فلا حاجة إلى إثقال البحث بتفصيل الحديث عنهما.

وأما في الوظائف الست - وهي صلب البحث - فقد كنّا نعرّف الوظيفة، ثمّ ننقل سريعاً إلى النظر في حضورها في بنية الاعتراض، ذاكرين أهمّ الظواهر اللافتة في تحقّق الوظيفة المعينة في بنية الاعتراض. وكنّا نتمثّل بالشعر العربي القديم، مفيدين - أحياناً - من تعليقات القدماء وشروحهم، من دون التسليم بها، فربّما نقضنا من أقوالهم قولاً، أو وافقناه، أو رجّحناه على آخر. وهذه الاستضاءة بكلام القدماء أمر شديد الأهمية، وهو أحد الأسس التي ينبغي أن تستند إليها قراءة النصّ القديم وفهمه.

وكنّا حريصين في أثناء تناول الأبيات الشعرية على تخريجها من المصادر الموثوقة، وكنّا نفضّل التخريج من دواوين أصحابها ولا سيّما المحقّقة منها، كلما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. وتوثيق النصّ وتحقيق نسبته إلى قائله أساس آخر من أسس قراءة النصّ القديم وفهمه<sup>(1)</sup>.

وكنّا نذكر سني وفيات الأعلام في المتن عقب ذكر العلم في المرّة الأولى، زيادة في التوثيق، ومعتدنا في ذلك كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي<sup>(2)</sup>.

ثمّ ختمنا هذا البحث بعرض أهمّ النتائج والتوصيات، ثمّ الهوامش.

(3) القزويني (أبو عبد الله، محمّد بن عبد الرحمن)، الإيضاح في علوم البلاغة، ج1، ص313.

(4) ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص246-

247؛ عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص194 وما بعدها.

(5) ابن الأثير (ضياء الدين، نصر الله بن محمّد)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج3، ص41.

(6) القزويني، الإيضاح، ج1، ص317.

(1) ينظر: محمّد حماسة عبد اللطيف، كيف نقرأ النصّ القديم، مجلة جذور، ج21، مج9 ص47.

(2) الزركلي (خير الدين بن محمود): الأعلام.

المعترض إلى البيت التالي، وهو ما يعرف بالتضمنين أو التعلق<sup>(5)</sup>.

وأما نظرية الاتصال لرومان جاكسون فتقوم على فكرة أن أية عملية اتصال لغوي لا بد لها من توافر ستة عناصر هي، المرسل، والرسالة، والمرسل إليه، والسياق، وقتة الاتصال، والسُنن<sup>(6)</sup>. ويولد كل عنصر من هذه العناصر وظيفة، لتتشكل ست وظائف هي على التوالي، التعبيرية، والشعرية، والتأثيرية، والمرجعية، والانتباهية، والميتالغوية<sup>(7)</sup>.

هذه الوظائف الست لا بد من أن تكون حاضرة في كل رسالة لغوية، لكن هذا الحضور يتفاوت في درجته؛ بمعنى أن هناك وظيفة تكون هي المهيمنة على الرسالة، فتطبعها بطابعها الذي يمنحها تميزاً من باقي الرسائل، وهنا ينبغي التنبيه إلى أن «المساهمة الثانوية للوظائف الأخرى في هذه الرسائل ينبغي أن يأخذها اللساني المتمعن بعين الاعتبار»<sup>(8)</sup>.

(5) ينظر مثلاً على ذلك النصين الآتين في: المرزوقي (أبو علي، أحمد بن محمد)، شرح ديوان الحماسة، ج1، ص130 و ج، ص171:

قول سوار بن المضرب السعدي:

فلو سألت سراًه الحي سلمى على أن قد تلون بي زمني

لخبرها ذوو أحساب قومي وأعدائي، فكل قد بلاني

وقول مالك بن حزم:

أنبيت - والأيام ذات تجارب وتبدي لك الأيام ما نست تعلم

بأن ثراء المال ينفع ربه ويثني عليه الحمد وهو مذموم

(6) ينظر، جاكسون (رومان)، قضايا الشعرية، ص27؛ المسدي (عبد السلام): الأسلوبية والأسلوب، ص157؛ صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ص154.

(7) ينظر: جاكسون، قضايا الشعرية، ص33؛ المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص158؛ صلاح فضل: علم الأسلوب، ص157.

(8) جاكسون، قضايا الشعرية، ص28.

والتكميل، لكن القزويني قد حسم الأمر بتعريف الاعتراض على النحو السابق، وهو التعريف الذي استقر في البلاغة العربية.

ومن مقررات النحو العربي أن جملة الاعتراض لا محل لها من الإعراب<sup>(1)</sup>، ولذلك وصفتها بعض المصادر بأنها «فضلة»<sup>(2)</sup>. وفي نظرنا، تقع الفضلة في مجال تصرف المتكلم، فتعبر عن حرية أكبر في الاختيار والتوزيع، وهذه الحرية تقل أو تنعدم في ركني الجملة الأساسيين المسند والمسند إليه.

على هذا الأساس، تقع الجملة الاعتراضية في مجال الحرية، ومن الناحية العملية كان الاعتراض من الوسائل التي كسر بها الشاعر حدة القوانين اللغوية والنقدية. ولا يخفى ما في المصطلح نفسه «الاعتراض» من دلالة على الرفض والتمرد والتوق إلى الحرية. فبالاعتراض تمرد الشعراء - من جهة - على قوانين اللغة التي تفرض نوعاً من الترتيب والاتصاف بين العناصر اللغوية؛ فكسروا هذا الترتيب، وفصلوا بين المتصلين أو المتطالبيين<sup>(3)</sup>. ومن الجهة الأخرى، تمرد الشعراء على بعض قواعد الشعر التي فرضها بعض النقاد وحاولوا فيها ترسيخ منهج استقلال البيت بوحدته التركيبية والدلالية<sup>(4)</sup>، وتجلّى هذا التمرد في تمديد الكلام عن طريق الاعتراض يربطاً معه العنصر الثاني في الجملة

(1) ينظر: ابن هشام (أبو محمد، عبد الله بن يوسف)، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ص506. وفي هذه الصفحة وما يليها إلى (521) تفصيل في أشكال الاعتراض ومعانيه مع شواهد قرآنية وشعرية.

(2) ابن أبي الحديد (أبو حامد، عبد الحميد بن هبة الله)، شرح نهج البلاغة، ج9، ص32.

(3) ينظر، ابن هشام: مغني اللبيب، ص521.

(4) جمال الدين بن الشيخ: الشعرية العربية، ص192.

## المحور الثاني الدراسة التطبيقية

بمقتضى النظرية، كان يتوجب ترتيب الوظائف حسب تسلسلها في خطاطة جاكبسون المشهورة، وهو الترتيب الذي اعتمدها في المدخل النظري. ولكن ما إن توغلنا في الجانب التطبيقي، واستناداً إلى التحليل الذي قمنا به للوظائف في بنية الاعتراض؛ حتى أعدنا ترتيب الوظائف بحسب هيمنتها وقوة حضورها في بنية الاعتراض.

### 1- الوظيفة الانتباهية

هي الوظيفة المتولدة من قناة الاتصال، تبرز في نوع من الرسائل «مهمتها إقامة التواصل وتمديده أو فصمه، وتوظف للتأكد مما إذا كانت دورة الكلام تشتغل... وتوظف لإثارة انتباه المخاطب أو التأكد من أن انتباهه لم يرتخ»<sup>(1)</sup>. ويرى الدكتور المسدي أن أبرز الأدوات التي تؤدي هذه الوظيفة، التأكيد والتكرار والإطناب<sup>(2)</sup>.

إن فكرة التمديد حاضرة بالقوة في بنية الاعتراض من حيث إن الاعتراض هو - في الأصل - بنية إطنابية تمدد التواصل، وهو تمديد مثير لانتباه المخاطب؛ لأنه يأتي قبل تمام المعنى فيلتفت إليه المخاطب بالقوة، ولو أنه أتى بعد تمامه - كما في أنواع الإطناب الأخرى - لما ضمن المتكلم انتباه المخاطب؛ إذ يكون المخاطب قد أخذ فائدته من الكلام ولم يعد في حاجة إلى سماع المزيد. ويتجلى التمديد في البنية الاعتراضية عندما تعترض بين جزأين أحدهما في بيت والآخر في

البيت الذي يليه، وهي ظاهرة ذات حضور واضح في الشعر العربي القديم، نضرب مثلاً عليها قول يزيد بن الحكم (105هـ)،

يا بدر - والأمثال يضربُ بها لذي اللب  
الحكيم -

دَمٌ للخليل بوذّه ما خيرُودٌ لا يدوم<sup>(3)</sup>.

فقد اعترضت الجملة «والأمثال يضربها لذي اللب الحكيم» بين النداء «يا بدر» وجوابه «دم للخليل بوذّه»، وعلى الرغم من طول هذه الجملة فإنها ليست المعنى بالكلام، وإنما المعنى هو صدر البيت الثاني «دم للخليل بوذّه» وما يليه من أمثال وحكم ونصائح في الأبيات التالية له، وما الجملة الاعتراضية إلا تنبيه على أهمية الكلام التالي لها، وقد التفت المرزوقي 421هـ إلى الوظيفة التبيهية لهذا الاعتراض، فقال، «ونبه بهذا الاعتراض على أن وصيته وصية حكيمة، وأن اللبيب العاقل يأخذ بها ويتأدب»<sup>(4)</sup>.

وأما فكرة تأكيد التواصل فهي أساسية في هذه الوظيفة، إلى درجة أنها تسمى في بعض المراجع الوظيفة التأكيدية<sup>(5)</sup>. وهي ماثلة في بنية الاعتراض، وقد التفت إليها القدماء، فقال المرزوقي، «والجمل المعترضة بين أنواع الكلم تفيد فيها التأكيد وتحقيق معانيها»<sup>(6)</sup>، وقال ابن الأثير وهو يتحدث عن النوع الأول من أنواع الاعتراض الذي لا يأتي في الكلام إلا لفائدة، «وهو جارٍ

(3) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ج2، ص1190.

(4) المرجع نفسه، ج2، ص1190.

(5) ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب، ص156.

(6) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ج2، ص1054.

(1) جاكبسون، قضايا الشعرية، ص30.

(2) ينظر، المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص160.

وقد التفت النقاد والبلاغيون العرب إلى هذه الوظيفة، ورصدها حتى في الجملة الاعتراضية القائمة في جملة خبرية لا إنشائية، وذلك في قول الشاعر:

واعلم - فعلم المرء ينفعه - أن سوف يأتي كل ما قدرا

فنصّ القزويني - مثلاً - على أن هذا الاعتراض للتببيه<sup>(5)</sup>. إن الجملة التي يراد لها أن تصل إلى المتلقي هي الجملة القائمة في العجز «سوف يأتي كل ما قدر» وهي البنية الحاملة للمدلول المستهدف إيصاله، وما عدا ذلك فإنه في خدمة هذه البنية، من ذلك بنية الاعتراض «وعلم المرء ينفعه» التي أفرغت من مدلولها لتمحّص لأداء وظيفة التببيه إلى أهمية الجملة التالية.

وعلى هذا الأساس يمكن النظر إلى كثير من الجمل الاعتراضية في النصّ القديم بأنها جاءت لأداء الوظيفة الانتباهية، لا لأداء معنى جديد أو إضافة معنى. وهذه النظرة ستلغي بعض الأحكام التي أطلقت على نوع من الاعتراض وُصِمَ بأنه يأتي في الكلام لغير فائدة<sup>(6)</sup> وأنه غير مستحسن<sup>(7)</sup>، بل ذهب العلوي<sup>(8)</sup> (745هـ) إلى أنه ذنبٌ، فقال معلقاً على بيت النابغة الذبياني<sup>(18ق هـ)</sup> الآتي، «فهذا وأمثاله يُغتمر فيه هذا الاعتراض وإن كان لا فائدة تحته»<sup>(8)</sup>. وكان ابن الأثير قد جعل هذا النوع من الاعتراض ضربين:

مجرى التوكيد<sup>(1)</sup>. وقال المرزوقي معلقاً على الاعتراض في بيت عمرو بن معدي كرب الزبيدي (21هـ):

ليس الجمال بمبتر - فاعلم - وإن رديت برداً

«قوله «فاعلم» اعتراض تأكد به الكلام»<sup>(2)</sup>، فجعل وظيفة الاعتراض تأكيدية صرفاً.

لقد وجدنا أن بنية الاعتراض تؤدي الوظيفة الانتباهية بالقوة والفعل، فبالقوة من خلال خرق نمط التركيب بإقحام بنية في أثناء بنية أخرى، وهو ما يفضي إلى التفات المتلقي من كلام إلى كلام، ولذلك وقع التداخل في الاصطلاح عند القدماء بين الالتفات والاعتراض<sup>(3)</sup>. وأمّا بالفعل، فمن خلال التعبيرات القائمة في بنية الاعتراض، وهو ما مسناه في الأمثلة السابقة وما سنلمسه في الأمثلة التالية.

واستناداً إلى هذه الثنائية فإن الوظيفة الانتباهية هي الوظيفة الأكثر هيمنة على بنية الاعتراض. يؤيد ذلك أن كثيراً من أمثلة الاعتراض كانت مفرغة من الإحالة، فكثرت فيها أساليب الإنشاء كالنداء والدعاء والأمر والقسم والتمني، وكثير من هذه الأساليب تقوم على العبارات الطقوسية التي تشيع عندما يكون هناك تشديد على الاتصال<sup>(4)</sup>. وفروغها من الإحالة أخلصها للتببيه؛ بمعنى أن بنية الاعتراض لا تأتي لأداء المعنى وإنما للتببيه إلى المعاني الموجودة حولها.

(5) القزويني، الإيضاح، ج1، ص314.

(6) ابن الأثير، المثل السائر، ج3، ص41.

(7) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج9، ص32.

(8) العلوي (يحيى بن حمزة)، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج، ص93.

(1) ابن الأثير، المثل السائر، ج3، ص41.

(2) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ج1، ص174.

(3) ينظر، ابن رشيق (أبو علي، الحسن بن رشيق)، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ج2، ص45.

(4) ينظر، جاكسون، فضايا الشعرية، ص30.



أهميتها في الكلام هي الوظيفة الانتباهية. وقد جاء التشبيه ملاصقاً لكلمة المقطع «غافل» وهو ما أنتج بنية تضادية بين (التنبه) و(الغفلة).

وعبارة «لا أبا لك» هي عبارة دعائية في أصل وضعها، فيها دعاء على المخاطب، ولما كانت كذلك فهي في موقع انتباه شديد من المتلقي لها، ثم لما كثرت استعمالها احتفظت بقيمتها التنبهية وأفرغت من حملها الدعائي، وهكذا كان استعمالها في جل الشعر العربي القديم، وهو أمر لم يعه كثير من النقاد القدماء فظلوا يبحثون فيها عن الفائدة (المعنى)، فإن لم يجدوها لم يستحسنوا الاعتراض، وإن وجدوها استحسنوه<sup>(3)</sup>. ولم يشفع للشاعر الكبير زهير بن أبي سلمى (13ق هـ) تحكيكه قصيدته حولاً كاملاً - وهو ما يدفع عنه تهمة الإتيان بما لا فائدة فيه - فكان مصير قوله الآتي عدم الاستحسان<sup>(4)</sup>:

سَمْتُ تَكاليفَ الحِياةِ، وَمِنْ يَعْشُ

ثمانين حَوَلاً - لا أبا لك - يَسَامُ  
إلا أن الزوزني (486هـ) كشف عن وعي لساني متقدم بأن جعل وظيفة هذه العبارة الوظيفة الانتباهية، فقال معلقاً على بيت زهير، «لا أبا لك، كلمة جافية لا يراد بها هنا الجفاء، وإنما يراد بها التشبيه والإعلام»<sup>(5)</sup>.

## 2- الوظيفة المبتاهية

هي الوظيفة المتولدة عن السَّنن أو الشفرة، وفيها يتم التأكيد ممَّا إذا كان طرفاً الاتصال

(3) ينظر، ابن الأثير: المثل السائر، ج3، ص47.

(4) ينظر، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج9، ص32.

(5) الزوزني (أبو عبد الله، حسين بن أحمد)، شرح المعلقات السبع ص155.

الأول، يكون دخوله كخروجه منه، لا يكتسب به حسناً ولا قبحاً.

الثاني، يؤثر في الكلام نقصاً، وفي المعنى فساداً.

ونحن نتلمس في الضرب الأول أنه محايد، ومن ثم فهو يؤدي وظيفة لا تقضي إلى جودة العمل أو رداءته، وإنما هي وظيفة خارج حدود الأداء الشعري وواقعة في حدود الأداء الاتصالي.

ومع هذا فإن النظر في الأمثلة التي قدمت على هذا الضرب يكشف عن وجود شوائب من الوظائف الأخرى، كما أن البعد الجمالي لا ينعدم تماماً، فقد يظهر في بعض النماذج الشعرية لهذا الضرب، ولكن هذا البعد - في حسابنا - لا يتحقق من ذات الاعتراض وإنما من موقع جملة الاعتراض في خط الشعر وانتظامها في النسق التوزيقي.

يقول النابغة الذبياني،

يقول رجالٌ يَنكرون خَلِيقتي

لعلَّ زياداً - لا أبا لك - غافل<sup>(1)</sup>

وقد أرجع ابن أبي الحديد (656هـ) سبب عدم استحسانه هذا الاعتراض إلى أنه «لا معنى تحته»<sup>(2)</sup>، وهنا يقع الاختلاف بين نظرة الناقد القديم والناقد الحديث، فالحكم البلاغي بني على أساس انعدام المعنى؛ لأن الوظيفة الأساسية التي يحكم استناداً إليها هي الوظيفة المرجعية، في حين يرى النقد الحديث أن انعدام المعنى نفسه هو الذي يخلص القول لأداء وظيفة أخرى لها

(1) النابغة الذبياني (أبو أمامة، زياد بن معاوية)، ديوان النابغة الذبياني، ص119. زياد: اسم النابغة.

(2) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج9، ص32.

وتأكيد انصراف الذم إليه<sup>(6)</sup>، بمعنى أن عبارة «وأنت منهم» جاءت تبياناً لكلمة «الباخلين» وأن المخاطبة داخلية فيهم. وبغير الجملة الاعتراضية «وأنت منهم» تكون دلالة «الباخلين» مختلفة لأنها تعني الباخرين وليس منهم المتكلم والمخاطبة، وهذا ظاهر في خلو الكلام من الاعتراض، «لو أن الباخرين رأوك؛ تعلموا منك المطال»، فليس في هذا الكلام ما يدل على بخل المخاطبة، والمطال صفة تكون في الباخرين وغيرهم، فهي التأخر في العطاء والإبطاء في إنجاز الوعد، والتأخر والإبطاء ليستا مقصورتين على الباخرين.

ومن ذلك قول النابغة الذبياني،

لعمري - وما عمري علي بهين -

لقد نطقت بطلاً علي الأقرع<sup>(7)</sup>

عبارة «لعمري» قسم، كثرت في الاستعمال حتى فقدت معناها الأول الذي يكون فيه المقسم به أمراً عظيماً وذا شأن، ونظرة سريعة في ديوان الشعر العربي تكشف عن هذه الكثرة في الاستعمال وفقدان القسم قوته المعنوية. وأمام هذا الاستهلاك للتعبير اللغوي «لعمري» تحاول الجملة الاعتراضية «وما عمري علي بهين» استعادة القوة المعنوية له، فتضبط دلالاته وتوجهها نحو التعظيم من شأن المقسم به. وقد كشفت الجملة الاعتراضية عن وعي الشاعر بابتدال هذا التعبير لدى الشعراء السابقين والمعاصرين له، وهو أمر ينبغي الالتفات إليه في التعامل النقدي الحديث

يستعملان السنن نفسه استعمالاً جيداً<sup>(1)</sup>. وينبغي هنا التمييز بين اللغة الموضوع التي تشير إلى ما هو خارج اللغة، واللغة الواصفة أو الشارحة التي تشير إلى اللغة نفسها<sup>(2)</sup>، وهذه الأخيرة هي التي تؤدي الوظيفة الميتالغوية.

تؤدي بنية الاعتراض الميتالغوية من خلال العبارات التي تقسّر أو توجه دلالة كلمة أو تعبير سابق حتى لا يفهم الكلام فهماً خاطئاً أو معكوساً. وتستهدف بنية الاعتراض - في هذه الحال - الكلام نفسه، فلا تعبر عن شيء أو حدث أو معنى، وإنما تبين كلمة أو تعبيراً سابقاً، وذلك في سبيل فك الشفرة وتأمين عملية الفهم للكلام المقول، عندما تكون تلك الشفرة غامضة أو ملتبسة أو عامّة.

وقد التفت القدماء إلى شيء من هذا في تناولهم الجملة الاعتراضية «وأنت منهم» في بيت كثير عزة (105هـ) الذي كان في صدارة شواهد الاعتراض،

لو أن الباخرين - وأنت منهم -

رأوك تعلموا منك المطال<sup>(3)</sup>

فقال ابن الأثير، «وفائدته ههنا التصريح بما هو المراد»<sup>(4)</sup>، وقال ابن أبي الحديد، «وفائدته ألا تظن أنها ليست باخلة»<sup>(5)</sup>، وقال العلوي، «وفائدته التصريح بما هو المقصود من ذمه،

(1) ينظر، جاكسون، فضايا الشعرية، ص31.

(2) ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) كثير عزة (أبو صخر، كثير بن عبد الرحمن)، ديوان كثير عزة، ص507.

(4) ابن الأثير، المثل السائر، ج3، ص45.

(5) ينظر، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج9، ص31.

(6) العلوي، الطراز، ج2، ص92.

(7) النابغة الذبياني، الديوان، ص34. الأقرع: بنو قريظ من بني تميم، وكانوا

وشواً بالشاعر إلى النعمان بن المنذر.

يكتشف وظيفة أخرى تؤدّيها الجملة الاعتراضية هي الوظيفة الشعرية، وهو ما سنتحدث عنه في (الوظيفة الشعرية).

ويدخل في أداء هذه الوظيفة عبارات المحاشاة والاستثناء والعبارات التي يعترض بها احتراماً، وهو ما يفضي إلى تداخل أحياناً بين بنية (الاحتراس) وبنية (الاعتراض)، والضابط هنا أن الاحتراس إذا كان جملة معترضة بين أجزاء جملة أخرى كان اعتراضاً، فإن لم يعترض فهو احترام خالص. مثال ذلك قول النابغة الجعدي (50هـ):

أَلَا زَعَمْتَ بِنَوْكَبٍ بَأْنِي

- أَلَا كَذَّبُوا - كَبِيرُ السِّنِّ فَا نِ (5)

ففي كلمة «زعمت» دلالتان متنازعتان، فالزعم «قد يكون حقاً وقد يكون باطلاً»<sup>(6)</sup>، بل «أكثر ما يستعمل الزعم فيما كان باطلاً أو فيه ارتياب»<sup>(7)</sup>. مع ذلك لم يأمن الشاعر رجحان الصدق في هذا الزعم لدى المتلقي، فجاءت الجملة الاعتراضية لتوجّه دلالة الفعل «زعم» وجهة وحيدة لصالح دلالة الكذب، وذلك قبل أن يقال الكلام المزعوم، وبدون هذا التوجيه يصعب تغيير القناعات التي ستتشكل لدى المتلقين.

وعلى الرغم من الطاقة التأثيرية في عبارات المحاشاة الدعائية فإنها تؤدّي الوظيفة الميتالغوية من حيث إنها تحترز وتستثني من الكلام - وفي هذه الحال - التالي لا السابق. مثال ذلك قول المتنبّي:

(5) النابغة الجعدي (أبوليل، قيس بن عبد الله): ديوان النابغة الجعدي، ص 179.  
(6) العسكري (أبو هلال، الحسن بن عبد الله)، معجم الفروق اللغوية، ص 185.  
(7) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج 1، ص 349. مادة (ز-ع-م).

مع الشعر القديم، من حيث إن هذه الظاهرة قد بدأت منذ عصر ما قبل الإسلام، فلا شك في أنها استمرت وازدادت في العصور اللاحقة.

وكانت الجملة الاعتراضية تؤدّي وظيفة ميتالغوية من حيث إنها عبارة يؤتى بها لإقامة الوزن، فهي مفرغة من أي محمول دلالي وتتمحّض لقيمتها الإيقاعية؛ مؤدية بذلك وظيفة السّنن الشعري أو الشفرة الشعرية، من جهة أن الشعر يوظف النظم الإيقاعية بوصفها شفرات خاصة به<sup>(1)</sup>.

وقد التفت القدماء إلى هذا الأمر، والتمسوا العذر للشاعر حين كان يضطرُّ إلى إقحام جملة معترضة لغرض إقامة الوزن «فربما كان مجال الكلام عليه ضيقاً فيلقيه طلبُ الوزن في مثل هذه الورطات، وأمّا الناثر فلا يضطرُّ إلى إقامة الميزان الشعري، بل يكون مجال الكلام عليه واسعاً، ولهذا إذا اعترض في كلامه اعتراضاً يفسد؛ توجّه عليه الإنكار وحقُّ عليه الذمُّ»<sup>(2)</sup>. فمن ذلك قول المتنبّي (354هـ):

وَحُفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتَ لَهَيْبَهُ

يَا جَنَّتِي - لَطَنَنْتَ فِيهِ جَهَنَّمَا (3)

فقال ابن أبي الإصبع (654هـ) «فإنه جاء بقوله «يا جنّتي» لإقامة الوزن»<sup>(4)</sup>، لكنه بعد ذلك

(1) ينظر، صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص 102.

(2) ابن الأثير: المثل السائر، ج 3، ص 49.

(3) المتنبّي (أبو الطيّب، أحمد بن الحسين): ديوان أبي الطيّب المتنبّي، ج 1، ص 46. ويروي مكان «لطننت»: لرأيت.

(4) ابن أبي الإصبع (أبو محمد، عبد العظيم بن عبد الواحد): تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: حفي محمد شرف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، ص 129.

الثقل وإن افترن بطلب يدرك مقدّمه نفسه صعوبة  
أو استحالة تنفيذه طبقاً لملاحظات البلاغيين  
القدماء»<sup>(9)</sup>.

على المستوى الفعليّ في النصّ الشعريّ، وجدنا  
أنّ الاعتراض بالأمر والنداء والدعاء وغيرها من  
الأساليب الطلبية يؤديّ الوظيفة الانتباهية أكثر  
من أية وظيفة أخرى، وعليه فإنّ النصوص هي  
التي تحدّد وظائف البنس فيها، ولا ينبغي للمحلل  
النصّي أن يركن كليّة إلى المقولات السابقة التي  
تحصر وظيفة ما في صيغ محدّدة.

أدت بنية الاعتراض الوظيفة التأثيرية من  
خلال جمل الدعاء، مع كون هذه الجمل جاءت في  
الغالب لأداء الوظيفة الانتباهية بعد أن أفرغت من  
معانيها الأصليّة، وعليه تكون الوظيفة التأثيرية  
وظيفة ثانوية في غالب النماذج الشعريّة لبنية  
الاعتراض.

وقد نلمس هيمنة الوظيفة التأثيرية على بنية  
الاعتراض إذا كانت صيغ الدعاء وما أشبهها  
مما لم يكثر استعماله في الشعر، فإن هذا يجعل  
معناها محفوظاً ومن ثمّ أثرها. من ذلك قول  
الحصين بن الحمام (10ق هـ):

فقلت لهم، يا آل ذبيان ما لكم

-تفاقدتم- لا تقدّمون مقدّماً

فعبارة «تفاقدتم» دعاء على المخاطبين<sup>(10)</sup>، وهي  
ليست من مألوف الدعاء، ما يعني أنّها تحتفظ  
بقيمتها التأثيرية التي يتوجّه فيها الخطاب إلى

(9) المرجع نفسه، ص 155.

(10) ينظر، المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ج 1، ص 387.

وتحتقر الدنيا احتقاراً مجرّب

يرى كلّ ما فيها -وحاشاك- فانيا<sup>(1)</sup>

فاحترز بقوله «وحاشاك» من دخول ممدوحه  
في الفناء<sup>(2)</sup>، فجملة «حاشاك» ليست لها قيمة  
ذاتية وإنما قيمتها النصية في أنّها توجه دلالة  
كلمة «فانياً» بأنّها تشمل أهل دنياه جميعاً باستثناء  
الممدوح فهو خارج من مدلولها، وذلك مبالغة في  
المدح ودعاء بطول البقاء. وقد استحسن القدماء  
هذا الاعتراض<sup>(3)</sup>، وذهب العباسي (963هـ) إلى  
أنّ الشعراء جميعاً أخذوا لفظة «حاشا» من قول  
أبي الطيب هذا<sup>(4)</sup>، وهو يقصد الأسلوب لا اللفظ.

### 3- الوظيفة التأثيرية

هي الوظيفة التي فيها «تتجه الرسالة إلى المرسل  
إليه»<sup>(5)</sup>. وقد رصد جاكسون بنيتين أساسيتين  
تؤديان هذه الوظيفة هما، النداء والأمر<sup>(6)</sup>، وأضاف  
الدكتور المسدي صيغة الدعاء<sup>(7)</sup>، والدكتور صلاح  
فضل، الرجاء والتمني<sup>(8)</sup> وكلّها يجمعها أنّها من  
(الإنشاء الطلبي). وقد نبّه الدكتور صلاح فضل  
إلى مراعاة تدخّل الوظائف الأخرى «ففي الرجاء  
مثلاً يحتلّ الطلب مركز الثقل، يليه التعبير عن  
الانفعال من جانب المتكلم، وذلك عكس التمني  
الذي يحتلّ فيه التعبير عن عاطفة المتكلم مركز

(1) المتنبي: الديوان، ج 2، ص 354.

(2) ابن منقذ (أبو المظفر، أسامة بن مرشد)، البديع في نقد الشعر، تحقيق:  
أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، ص 130.

(3) القزويني، الإيضاح، ج 1، ص 314.

(4) العباسي (أبو الفتح، عبد الرحيم بن عبد الرحمن): معاهد التصحيح على  
شواهد التلخيص، ج 1، ص 372.

(5) بومزبر (الطاهر): التواصل اللساني، ص 39.

(6) ينظر، جاكسون، فضايا الشعرية، ص 29.

(7) ينظر، المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 159.

(8) ينظر، صلاح فضل، علم الأسلوب، ص 155.

الجملة الاعتراضية في وسط البيت مكنها من نسج علاقات مع ما تقدمها «إن الثمانين» وما تأخر عنها «قد أحوجت سمعي إلى ترجمان»، فكانت علاقتها بالمتقدم علاقة دعاء بالخير كما ذهب المرزوقي، فهي هنا تؤدي الوظيفة التأثيرية؛ وكانت علاقتها بالمتأخر علاقة تنبيه، فهي هنا تؤدي الوظيفة الانتباهية. وقد كان الشاعر من الذكاء بحيث دعا له بالعمر الطويل قبل أن يبين ما يعثور صاحب الثمانين من الأدواء، حتى لا يبدو أنه يدعو للأمير بأن يصير إلى هذا المصير.

وكانت العبارة الدعائية «لا أبا لك» مثار حيرة النقاد والبلاغيين واللغويين القدماء، فكانوا ينصون على عدم فائدتها إذا جاءت في مقام ليس فيه الدعاء دعاءً شرًّا لأن الأصل لديهم أنها دعاء شرٌّ، ولذلك كلما وجدوها في مقام دعاء الشرِّ عدوها على الأصل فاستحسنوها؛ كما في قول جرير (110هـ):

أَعْبَدًا حَلَّ فِي شُعْبَى غَرِيبًا

أَلْوَمَا - لا أبا لك - واغتراباً<sup>(5)</sup>

وإذا وجدوها في غير ذلك لم يستحسنوها<sup>(6)</sup>. وقد حاول بعضهم أن يحملها المدلولين المتناقضين (المدح والذم) خروجاً من هذه الحيرة، فقال، «وهذا يكون للمدح بأن يراد نفي نظير الممدوح بنفي أبيه، ويكون للذم بأن يراد أنه مجهول النسب»<sup>(7)</sup>.

وفي نظرنا أن القدماء لم ينتبهوا إلى أن هذه

المخاطب في محاولة لإحداث نوع من القلق النفسي والتوتر العاطفي المحفز له. وقد تأزرت في البيت الأساليب الطلبية لتكوّن شحنة قوية موجّهة نحو المخاطب لإثارته، والإثارة هي ميزة في الخطاب التأثيري<sup>(1)</sup>، وبموجبها يكون الخطاب «عامل استقزاز يحرك في المتقبل نوازع وردود فعل»<sup>(2)</sup>. لكن المرزوقي يلتفت إلى أن هذه الأساليب الطلبية - ومن بينها جملة الاعتراض الدعائية - تؤدي وظيفة تعبيرية تتمثل في التضجّر؛ حيث يقول، «وهذا الكلام تضجّر منه بهم لما تخاذلوا ولم يكونوا عند حسن الظن»<sup>(3)</sup>. وهذا يعني أن الخطاب هنا مزدوج الوظيفة، فالأسلوب الطلبية يتجه نحو الخارج (الأخر) في حين يحمله الشاعر متطلبات الداخل (الذات).

ومن الأمثلة المشهورة في هذا الباب قول عوف بن محلم الخزاعي (220هـ) للأمير عبد الله بن طاهر بن الحسين (230هـ)،

إن الثمانين - وبلغتها -

قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

جملة الاعتراض «وبلغتها» هي جملة دعائية، وهي عند المرزوقي «دعاء خير»<sup>(4)</sup> للمخاطب تبعث في نفسه الراحة والتفاؤل، فهي بذلك تؤدي الوظيفة التأثيرية؛ لكن نظرة متفحصة تكشف عن مزاحمة الوظيفة الانتباهية للوظيفة التأثيرية؛ فالاعتراض هنا جاء لتنبيه المخاطب على ما في طول العمر من مساوئ. ويمكن القول إن مجيء

(1) ينظر، بومزير: التواصل اللساني والشعرية، ص39.

(2) المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص82.

(3) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ج1، ص386.

(4) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ج1، ص387.

(5) جرير بن عطية، ديوان جرير (بشرح محمد بن حبيب)، ص650.

(6) ينظر، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج9، ص32.

(7) البغدادي (عبد القادر بن عمر)، ج2، ص184.

الوظيفتين الانتباهية والميتالغوية؛ لأن مهمتها دفع الظن عن مدلول الكلام المحيط بها والتنبيه إلى أهميته. وقد التفت الزوزني إلى الوظيفة الميتالغوية لبنية الاعتراض وهو يشرح هذا البيت حيث يقول، «يقول، وقد نزلت من قلبي منزلة من يحب ويكرم؛ فتقني هذا واعلميه قطعاً ولا تظني غيره»<sup>(3)</sup>، فقد جعل الجملة الاعتراضية موجهة نحو الكلام نفسه المتمثل في اسم الإشارة «هذا» والضمير الهاء في «اعلميه» و«غيره». ومع هذا فإننا لا نعدم حضور الوظيفة التأثيرية حضوراً ثانوياً، من خلال (ياء المخاطبة) وأسلوب النهي.

#### 4- الوظيفة التعبيرية

الوظيفة التعبيرية «هي التي تركز على المتكلم، وتحول إلى التعبير المباشر عن موقفه ممّا يقول»<sup>(4)</sup>. وقد ذكر جاكسون من الأدوات اللغوية التي تؤدي هذه الوظيفة، صيغ التعجب<sup>(5)</sup>، وأضاف إليها الدكتور المسدي، التأوه ودعوات التلب وصيحات الاستنفار<sup>(6)</sup>، ثم أضاف إليها الطاهر بومزبر، الاستغاثة والندبة<sup>(7)</sup>. وفي نظرنا أن ذكر هذه الأدوات جاء لتقريب مفهوم هذه الوظيفة، فهي غير منحصرة بها، كما أن هذه الأدوات المذكورة نفسها قد تؤدي - في بعض النصوص - وظائف آخر، فدعوات التلب وصيحات الاستنفار والاستغاثة شديدة الصلة بالوظيفة التأثيرية

العبارة قد فقدت معناها الأول وأصبحت ذات قيمة تبيهية يقصد بها لفت الانتباه، حتى في الأمثلة التي ظنوا أنها جاءت على الأصل. وإن كان السيوطي (911هـ) قد أشار إلى شيء قريب من هذا عندما تحدث عن أن كثرة استعمال هذه العبارة أفقدتها معناها الأصلي وهو أن ينسب المخاطب إلى أب معلوم شتماً له واحتقاراً، ثم صارت «تقال في كل خطاب يغلظ فيه على المخاطب»<sup>(1)</sup>، بمعنى أنها صارت عبارة مصكوكة فاقدة لمعناها الأصلي محتفظة بقوة التأثير في المخاطب، لا بمفهوم التأثير الذي يغير قناعات المخاطب، ولكن بمفهوم قدرتها على لفت انتباهه نحو عناصر الخطاب الأساسية التي تحدث التأثير الحقيقي.

هذا، وقد شاع أن الوظيفة التأثيرية تتحقق في العناصر اللغوية المتجهة نحو المخاطب كضمائر الخطاب والأساليب الطلبية، وهذا أمر يصح في مواضع ولكنه يكون خادعاً في مواضع أخرى. وقد وجدنا جملاً اعتراضية من هذا النوع، لكن الوظيفة المهيمنة فيها غير الوظيفة التأثيرية، قد تكون الانتباهية أو الميتالغوية أو كليهما؛ ونضرب مثلاً لذلك قول عنتره العبسي (22ق هـ) في معلقته:

ولقد نزلت - فلا تظني غيري -

مني بمنزلة المحب المكرم<sup>(2)</sup>

فقد جاءت الجملة الاعتراضية لتؤدي

(3) المرجع نفسه، ص109.

(4) صلاح فضل، علم الأسلوب، ص155.

(5) ينظر، جاكسون، قضايا الشعرية، ص28.

(6) ينظر، المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص158.

(7) ينظر: بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، ص36.

(1) البغدادي، خزنة الأدب، ج2، ص184.

(2) الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص109.

جنس الطير. لكن ابن القيم (751هـ) التفت عن الوظيفة الميتالغوية إلى الوظيفة التعبيرية التي تؤدّيها الجملة الاعتراضية، فوجد أن الاعتراض في هذا البيت يفيد «قوة شوقه ونزوعه إلى أرض الحجاز، فأخبر أنه كاد يطير، على أنه أبعد شيء من الطيران، فإنه لم يُخلق من الطير، ولا عجب طيران مَنْ خُلِقَ من الطير، وإنما العجب طيران من لم يُخلق من الطير؛ لشدة نزوعه وشوقه إلى جهة محبوبه»<sup>(3)</sup>. وهو بقوله هذا يرجح هيمنة الوظيفة التعبيرية في بنية الاعتراض في هذا البيت.

واستناداً إلى ما روي من أخبار تتصل بتلقي هذا البيت في زمن الشاعر؛ نجد أن الوظيفة التأثيرية كانت حاضرة أيضاً في الاعتراض خاصة والبيت عامة، فقد روي «أن التي قيل فيها هذا البيت لما سمعته تنفست تنفساً شديداً»<sup>(4)</sup>. وقد استملح عبد الرحيم العباسي هذا الاعتراض، في حين أن ابن أبي عتيق (110هـ) المعاصر للشاعر فضّل ردّ الفعل (التنفّس الشديد) على الفعل نفسه (الشعر)، وذلك في قوله لتلك المرأة، «قد -والله- أجابته بأحسن من شعره!». ومن فضول القول وظيفته أن ابن أبي عتيق قد استعمل الاعتراض في كلامه، فربما تأثر بقول نصيب من حيث لا يدري!

إنّ الفصل طويل الأمد بين الفعل الناقص واسمه «كدت» في مطلع البيت، وخبره في مقطع البيت «أطير»، وهو ما نلمسه في البنية السطحية؛

التي تنزع نحو المرسل إليه، وقد تؤدّي في نصوص أخرى الوظيفة الانتباهية.

وهنا ينبغي التنبيه إلى أن إحساسنا بهذه الوظيفة عند تناول الشعر القديم منخفض إلى حدّ كبير قياساً إلى الإحساس بها عند قول الشعر أوّل مرّة، فالفرق بين الخطاب المرسل عبر قناة فيزيائية (نطقية) والمرسل عبر الصور الخطئية (كتابة) يكون بارزاً وقوياً «حيث تقوى الارتسامات الانفعالية على المقدّم نطقاً، فيما تتضاءل وتضعف عندما يتحوّل إلى بنية مكتوبة»<sup>(1)</sup>. وهذا أمر ينبغي للناقد الحديث أن يأخذه في الحسبان عند مقارنة النصّ الشعريّ القديم.

وباستقراءنا لأشهر شواهد الاعتراض في الشعر العربيّ القديم وجدنا أن بنية الاعتراض أدت الوظيفة التعبيرية من خلال حضور الذات المتكلّمة بأمالها وآلامها، هذه الذات التي تجلّت نصياً في ضمائر المتكلم وأساليب الإنشاء غير الطلبية، والطلبية أحياناً، وتعبيرات أخرى. من ذلك قول نصيب بن رباح (108هـ)،

فَكَدْتُ -وَلَمْ أُخَلِّقْ مِنَ الطَّيْرِ- إِنْ بَدَا

سناً بارق، نَحْوَ الحِجَازِ أَطِيرُ<sup>(2)</sup>

واضح أن الجملة الاعتراضية «ولم أخلق من الطير» جاءت لتؤدّي الوظيفة الميتالغوية من خلال توجيه دلالة الفعل «أطير» بأنه فعل غير متحقّق ولن يتحقّق، فجيء بالاعتراض للاحتراز من إنكار إسناد الطيران إلى المتكلم مع كونه ليس من

(3) ابن القيم (أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر، ص 223).

(4) العباسي، معاهد التنصيص، ج 1، ص 371.

(1) يومزبر: التواصل اللساني والشعرية، ص 37.

(2) نصيب بن رباح، شعر نصيب بن رباح، ص 91.

أراحَ اللهُ قَلْبِي من زَمَانٍ مَحَتَّ يَدُهُ سروري  
بالإساءة

فإنَّ حَمْدَ الكَرِيمِ صَبَاحَ يَوْمٍ - وأنى ذاك - لم  
يَحْمَدَ مَسَاءَهُ<sup>(3)</sup>.

فالجملّة الاعتراضيّة أدت الوظيفة التعبيريّة  
على الرغم من كونها إنشاءً طلبياً يتّجه في الأصل  
إلى المتلقّي، لكن الاستفهام هنا خرج من معناه  
المعتاد إلى إظهار يأس الذات من استقرار حال  
الزمان على نسق واحد، تماماً كالجملّة الحاملة  
لهذا المضمون التي بدت غير قادرة على الاستقرار  
على نسق واحد، فأقحمت في ثناياها الجملّة  
الاعتراضيّة.

ومن الأمثلة التي أدت فيها الجملّة الاعتراضيّة  
الوظيفة التعبيريّة، قول ابنة ضرار الضبيّة ترثي  
أخاها قبيصة بن ضرار، من عصر ما قبل  
الإسلام:

لا تَبْعَدَنَّ - وكلُّ شيءٍ ذاهِبٌ -

زَيْنَ المَجَالِسِ والنَّدَى، قَبِيصاً<sup>(4)</sup>

جاءت الجملّة الاعتراضيّة في صورة جملّة  
اسميّة خبريّة ذات طابع عامّ ما يجعلها مصوغة  
لتكون حكمة باقية، وهذا النوع من الجمل يودّي  
وظيفة مرجعيّة بسبب محمولها الدلالي والثقافي،  
وهو أمر سنرجع فيه القول بالتفصيل في (الوظيفة  
المرجعيّة). لكن على الرغم من هذا المحمول  
سنجد أنها - في هذا البيت - تودّي وظيفة تعبيرية  
في المقام الأوّل هو إظهار التسلّي في سياق الحزن

يكشف عن البون الشاسع بين الخيال والواقع، بين  
الرغبة والتفديد، بين الذات والفعل، في مستوى  
البنية العميقة. وقد جند النصُّ كلَّ إمكانات  
الفصل بين اللفظين، فكان الاعتراض أحد هذه  
الإمكانات، فضلاً عن تقديم جملّة الشرط «إن  
بدا سنا بارق» التي كان حقّها أن تتأخّر بعد باقي  
الكلام، وكذا تقديم شبه الجملّة «نحو الحجان»  
على الفعل «أطير».

ومن الأمثلة أيضاً قول العباس بن الأحنف  
(194هـ):

إنَّ تَمَّ ذَا الهَجْرِ يا ظُلُومٌ - ولا

تَمَّ - فما لي في العَيْشِ من أَرْبٍ<sup>(1)</sup>

تفضح العبارة الدعائيّة في بنية الاعتراض  
«ولا تمّ» قلق الذات من الانفصال عن المحبوب،  
فالوظيفة التعبيريّة فيها بارزة، من حيث إنّ  
الغرض من هذا الاعتراض «المسارعة إلى دعاء  
الله بالألا يقدر وقوع هذا الهجر والتقاطع»<sup>(2)</sup>. وكان  
مجيء بنية الاعتراض في قلب البيت منبئاً عن  
أهمّيّتها ومحوريّتها في الكلام، كما أن انفصال  
أجزاء هذه البنية بين نهاية الصدر وبداية العجز  
جاء تعبيراً نصّياً عن الهجر.

ومن الأمثلة التي تحقّقت فيها الوظيفة  
التعبيريّة في أسلوب إنشائيّ طلبيّ قول أبي الفتح  
البُسْتِي (400هـ):

(1) العباس بن الأحنف، ديوان العباس بن الأحنف، ص33. ومكان «تمّ» في  
الديوان في الموضعين: دام، وقد اخترنا «تمّ» لأن أكثر كتب النقد والبلاغة  
أثبتتها هكذا.

(2) عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص195.



هناك أربع ملاحظات أساسية على هذا الشكل الخاص من بنية الاعتراض، ألفيناها في معظم نماذجها في الشعر العربي القديم،

1- الملاحظة الأولى، أن غالب نماذجها جاء في آخر الصدر، وللتأكد من هذه النتيجة قمت بالبحث في قرص (الموسوعة الشعرية)<sup>(6)</sup> المدمج عن عبارة من هذا النوع هي «والحوادث جمّة» فوجدت أنها تكررت أربعاً وثلاثين مرة في شعر ستّة وعشرين شاعراً من مختلف العصور، كلها من دون استثناء وردت فيها هذه العبارة في آخر الصدر، وكأنّ استعمالها صار تقليداً فنياً الخروج عنه أمر معيب، وهذا الأمر يشمل استعمال هذه العبارة في بنية الاعتراض وخارجها. وكان قول امرئ القيس (80ق هـ) هو الاستعمال الأوّل لهذه العبارة، فسار على نهجه باقي الشعراء، وذلك دأب شعره لا يفتأ أن يكون مثلاً يحتذى،  
الأهل أتاها - والحوادث جمّة -

بأنّ امرأ القيس بن تملك بيقر<sup>(7)</sup>  
والظاهر أن هذا كان من أجل أن يستقلّ العجز بالمعنى الأساسي الذي يقصد إليه الشاعر وتنبّه إليه الجملة الاعتراضية.

2- الملاحظة الثانية، أن أكثر نماذجها جاء في صورة جملة اسمية، وقد ناسب هذا سياق الحكمة لأنّ الاسم أدل على الثبات والعموم

الشديد على فراق أخيها، ولم تكن هذه الجملة الخبرية قادرة على الاحتفاظ بخبريتها في هذا الوسط المزدحم بالإنشاء، فيكون البيت كله إنشاءً معبراً عن الانفعال الشديد والعاطفة المحتدمة.

### 5- الوظيفة المرجعية

هي الوظيفة التي «تحدّد العلاقات بين المرسلّة والشيء أو الغرض الذي ترجع إليه»<sup>(1)</sup>، وتتجلّى نصياً في ضمير الغائب<sup>(2)</sup>، وفي الجملة الخبرية التي «تحيل إلى واقع مرجعي خارج - لساني»<sup>(3)</sup>.

إنّ هيمنة الوظيفة الانتباهية على بنية الاعتراض، جعل جملة الاعتراض تُفرغ من محمولها الدلالي وتُصرم حبال الإحالة فيها، وهو ما قلل فرص حضور الوظيفة المرجعية في هذه البنية، لكنّ حضورها الثانوي إلى جانب الوظيفة الانتباهية كان محصوراً في شكل محدّد من أشكال الجملة الاعتراضية، وهو شكل الجملة الخبرية ذات الطابع الحكمي العامّ.

إنّ التعبير الحكمي مثقل بالإحالات؛ لأنّه خلاصة تجربة إنسانية طويلة، ويحيل إلى سياق نموذجي من حيث إنّ السياق هو «الرصيد الحضاري للقول وهو مادة تغذيته بوقود حياته وبقائه»<sup>(4)</sup>. وفي هذا التعبير اللغوي المكثف تستعمل العلامات «بوصفها نائبة عن أشياء نتحدّث عنها بدل استحضارها داخل السياق الخطابي»<sup>(5)</sup>.

(1) فاطمة الطيّال بركة، النظرية الأسنوية عند رومان جاكسون، ص 67.

(2) ينظر، جاكسون، قضايا الشعرية، ص 30.

(3) المرابط (عبد الواحد)، السيمياء العامة وسمياء الأدب، ص 47.

(4) الغدّامي (عبد الله)، الخطيئة والتكفير - من البنيوية إلى التشرحيّة ص 10.

(5) بومزير، التواصل اللساني والشعرية، ص 45.

(6) المجمع الثقافي، الموسوعة الشعرية (قرص مدمج)

(المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإصدار الثالث، 2003م).

(7) امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، ص 392، تملك: اسم أمّه. بيقر: لم يدر أين

يسلك.

لضمير المتكلم البارز والمستتر، فأدّت هذه الجمل وظيفة تعبيرية واضحة إلى جانب الوظيفة المرجعية، توضح عواطف الذات وانفعالاتها، وقد رأى ابن الأثير في بيت جرير السابق نوعاً من التعزّي يسلي به الشاعر نفسه عمّا مضى من اللذة والنعيم الذي فاز به من عشرة أولئك الأحباب. ومن أمثلة ذلك قول أبي تمام ( 231هـ):

وما أبالي - وخير القول أصدقه -

حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِ أُمِّ حَقَنْتَ دَمِي<sup>(3)</sup>

فالجمل الاعتراضية هنا تؤدي إلى جانب الوظيفتين الانتباهية والمرجعية وظيفتين أخريين بارزتين، هما الوظيفة التعبيرية والوظيفة الميتالغوية، فهي توضح القلق النفسي لدى الذات المتكلمة في عبارة «وما أبالي»، ويدفع عنها تهمة الكذب. ولذلك قال ابن أبي الحديد تعليقاً على هذا الاعتراض: «وفائده إثبات صدقه في دعواه أنه لا يبالي أيهما حق»<sup>(4)</sup>.

إنّ الجمل الاعتراضية السابقة تحيلنا إلى أشياء وأحداث خارج النصّ، فتؤدي بذلك الوظيفة المرجعية. ولنا أن نأخذ مثلاً على ذلك عبارة «والحوادث جمّة»، فهي تحيلنا إلى سلسلة من الحوادث التي صادفها امرؤ القيس في حياته، وهي تعيدنا إلى السياق التاريخي وسيرة الشاعر، وقد جمعت في عبارة شديدة الإيجاز حاولت التفتل من أسر

لتجرده من الزمن، وهو ما تحتاج إليه الحكمة لتبقى وتنتشر. وقد كان المبتدأ في هذه الجملة دالاً على العموم من خلال وسيلتين، تعريف المبتدأ بأل الاستغراقية، وتنكيره. فمثال الأول بيت امرئ القيس الماضي، ومثال الثاني قول البحتري (284هـ)،

ولقد علمت - وللمحب جهالة -

أَنَّ الصِّبَا بَعْدَ المَشِيبِ تَصَابِي<sup>(1)</sup>

3- الملاحظة الثالثة، أنّ جمل الاعتراضية

الحكمية يتكوّن من لفظين أو ثلاثة. والظاهر أنّ ذلك يعود إلى الحرص على أن تظلّ الجملة الاعتراضية في حيز الصدر كما ذكرنا من حرص آخر على أن ينفرد العجز بالمعنى الأساسي في البيت. ولكونها معترضة في الصدر كان لا بد من وجود ألفاظ أخرى تزامها فيها، فكان هذا داعياً آخر إلى إيجازها، فضلاً عن أنّ سياق الحكمة نفسه يقتضي الإيجاز. هذا إن كانت الحكمة من إنشاء الشاعر، فإن كان يوظفها فهي موجزة في أصل بنائها ليسهل حفظها وسيرورتها. فمن أمثلة البنية الثنائية قول امرئ القيس وقول البحتري الماضيان، ومن أمثلة البنية الثلاثية قول جرير:

ولقد أراني - والجديد إلى بلى -

فِي مَوْكَبٍ طُرْفِ الحَدِيثِ كِرَامِ<sup>(2)</sup>

4- الملاحظة الرابعة، أنّ معظمها جاء تالياً

(1) البحتري (أبو عباد، الوليد بن عبيد): ديوان البحتري، ج1، ص295. ويروى في بعض المصادر:

ولقد علمت - وللشباب جهالة - أنّ الصبا بعد الشباب تصابي

(2) جرير: الديوان، ج3، ص991.

(3) التبريزي (أبو زكريا، يحيى بن علي): ج2، ص108.

(4) ينظر، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج9، ص31.

وبدراستنا نماذج للاعتراض في الشعر العربي القديم وجدنا أن الوظيفة الشعرية لم تتحقق داخل بنية الاعتراض، وإنما تحققت في توازي بنية الاعتراض مع أجزاء أخرى من النص الشعري، وفي هذا الإطار وجدنا شكلين للتوازي، الأول، توازي بين جملتين اعتراضيتين؛ (ثنائي الاعتراض).

الثاني، توازي بين عنصر في الجملة الاعتراضية وآخر خارجها؛ (أحادي الاعتراض).

فأما الشكل الأول فيتحقق أفقياً ورأسياً، فمن تحقّقه أفقياً قول الشاعر الجاهلي ضمرة بن ضمرة النهشلي:

هذا - وجدكم - الصغار بعينيه

لا أم لي - إن كان ذلك - ولا أب<sup>(4)</sup>

وواضح أن الاعتراض الثاني «إن كان ذلك» جاء به لموازاة الاعتراض الأول «وجدكم» إذ ليس الثاني اعتراضاً أصيلاً بحيث يمكن الاستغناء عنه كالاقتراض الأول، وإنما هو اعتراض ناشئ من التقديم والتأخير، وإنما اعتراض به حرصاً على التوازي في بنية البيت عموماً.

ومن التحقق الأفقي أيضاً قول إبراهيم بن المهدي (224هـ) في رثاء ولده،

وإني - وإن قدمت قبلي - لعالم

بأني - وإن أحرّت - منك قريب<sup>(5)</sup>

اللحظة الزمنية والحدود المكانية للشاعر، لتتطبق على كل قائل ومتلّق، فكل واحد منّا يعيش أحداثاً كثيرة لا يمكن حصرها، ومن هنا تكتسب العبارة طابعها الحكمي، وذلك التقلت يكاد يفرغها من مضمونها ويصرم حبال الاتصال بالواقع الذي أنتجها، ومن هنا تتحوّل إلى أداء وظيفته التنبيه إلى الكلام التالي لها. فكأنّ امرأ القيس يقول، فلتدع كل الحوادث ولتنتبه للحادثة الآتية، أني شريد في الأرض أهاجر من أرض إلى أخرى طلباً للأخذ بثأر أبي، وهذا أجل حدث تصغر عنده باقي الأحداث.

#### 6- الوظيفة الشعرية

هي الوظيفة التي يتم فيها «استهداف الرسالة بوصفها رسالة، والتركيّز على الرسالة لحسابها الخاص»<sup>(1)</sup>، من خلال إسقاط «خطة التماثل لمحور الاختيار على محور التوزيع»<sup>(2)</sup>، وهو ما يتجلى في منهج التوازي الذي يتضمّن مجموعة من الأدوات الشعرية التكرارية مثل «الجناس، والقافية، والترصيع، والسجع، والتطريز، والتقسيم، والمقابلة، والتقطيع، والتصريع، وعدد المقاطع أو التفاعيل والنبر، والتنغيم، ويمكن لبنية التوازي هذه أن تستوعب الصور الشعرية بما فيها من تشبيهات واستعارات ورموز، ويمكن للتوازي أن يتخطى حدود البيت أو المقطوعة لكي يستوعب القصيدة بأكملها»<sup>(3)</sup>.

(4) شلاش (هاشم طه)، ضمرة بن ضمرة النهشلي أخباره وما بقي من شعره، ص113.

(5) الصولي (أبو بكر، محمّد بن يحيى): كتاب الأوراق - قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص45.

(1) جاكسون، قضايا الشعرية، ص31.

(2) المرجع نفسه، ص33.

(3) المرجع نفسه، ص8.

نوع؛ أو تالية لها، وهذا نوع آخر. فمن النوع الأول قول كثير،

وَدَدْتُ - وما تُغني الودادة - أني

بما في ضمير الحاجية عالم<sup>(2)</sup>

فالتوازي هنا قائم بين الفعل «وددت» في مطلع البيت، والمصدر «الودادة» في حشو الصدر، والتوازي بينهما قائم سطحاً في التجنيس الاشتقاقي، ثم إن هناك توازي تضاد في مستوى العمق بين حضور الفعالية في «وددت» وغيابها في «الودادة».

ومن النوع الثاني التوازي الإيقاعي في قول معن بن أوس (64هـ):

لَعَمْرُكَ ما أَدْرِي - وائي لأوجل -

على أيّنا تعدو المنية أول

فكان التوازي بين كلمة في الجملة الاعتراضية هي «أوجل» وكلمة تالية لها هي كلمة المقطع «أول»، وقد جاءت كلمة «أوجل» في موقع (العروض) لتكون في موازاة كلمة (الضرب) «أول»، وذلك لتحقيق أكبر قدر من التوازي الإيقاعي الذي يضمن إحداث الأثر لدى المتلقين. وهذه الظاهرة هي التي تعرف بالتصريع، وهو جعل العروض مقفأة تقفية الضرب؛ بمعنى أن بنية الاعتراض جيء بها لتحقيق هذه الغاية الشعرية المحض.

وقد يكون التوازي من هذا النوع توازي تضاد كما في قول المتنبي،

وَحُفُوقُ قَلْبٍ لو رأيت لهيبه

- يا جنتي - لظننت فيه جهنماً<sup>(3)</sup>

واضح هذا التوازي بين مفرديات الشطرتين (واني // بأني - وإن // وإن - قدّمت // أخرت - قبلي // منك - لعالم // قريب). وقد أسهمت بنية الاعتراض في التوازي داخلياً من خلال توازي التضاد بين «قدّمت» و«أخرت»، وخارجياً بتموقعها بين اسم إن وخبرها في كل من الصدر والعجز. ومن فضول القول أن توازي التضاد بين «قدّمت» و«أخرت» هو الذي يحول دون تصحيف كلمة «قدّمت» إلى «قدّمت»، وهي بمكان من الاشتباه يؤهلها لأن تكون مظنة التصحيف.

وقد يتحقّق الشكل الأول رأسياً؛ كما في قول أبي خراش الهذلي (15هـ)، يذكر أخاه عروة،

تقول، أراه بعد عروة لاهياً

وذلك رزء - لو علمت - جليل

فلا تحسبي أنني تناسيت عهد

ولكن صبري - يا أميم - جميل<sup>(1)</sup>

كان الحرص على توازي العجزين واضحاً، بحيث كانت كل كلمة في العجز الثاني إزاء كلمة في العجز الأول (وذلك // ولكن - رزء // صبري - لو علمت // يا أميم - جليل // جميل). وقد دخلت بنية الاعتراض في إطار بنية التوازي، بمعنى أن الاعتراض الثاني جيء به لإحداث التوازي مع الاعتراض الأول من جهة، ولإحداث التوازي العام بين الشطرتين من الجهة الأخرى.

وأما الشكل الثاني فقد يتحقّق بين كلمة في الجملة الاعتراضية وكلمة سابقة عليها، وهذا

(2) كثير عزة: الديوان، ص 245.

(3) المتنبي، الديوان، ج 1، ص 46. ويروى مكان «لظننت»: «لأيت».

(1) مجموعة من الشعراء الهذليين، ديوان الهذليين، ج 2، ص 116. وأميمة هي امرأة أخيه.

- كانت الوظيفة المهيمنة في بنية الاعتراض في الشعر العربي القديم، هي الوظيفة الانتباهية، تليها الوظيفة الميتالغوية، ثم الوظيفة التأثيرية، ثم التعبيرية، ثم المرجعية، ثم الشعرية.

- تتجلى الوظيفة الانتباهية في بنية الاعتراض في ظاهرتين أساسيتين هما، التمديد والتأكيد، تمديد الاتصال بإطالة الكلام، وتأكيد الاتصال بلفت الانتباه إلى عناصر معينة في الكلام.

- تؤدي بنية الاعتراض الوظيفة الانتباهية بالقوة والفعل، فبالقوة من خلال خرق نمط التركيب بإقحام بنية في أثناء بنية أخرى، وهو ما يفضي إلى التفات المتلقي من كلام إلى كلام، ولذلك وقع التداخل في الاصطلاح عند القدماء بين الالتفات والاعتراض. وأمّا بالفعل فمن خلال التعبيرات الماثلة في بنية الاعتراض.

- كثير من أمثلة الاعتراض كانت مفرغة من الإحالة إلى معنى أو مرجع، فكثرت فيها أساليب الإنشاء والعبارات الطقوسية، وفروغها من الإحالة أخلصها لأداء الوظيفة الانتباهية.

- نظرة الناقد الحديث إلى كثير من الجمل الاعتراضية في النص القديم بأنها جاءت لأداء الوظيفة الانتباهية، لا لأداء معنى جديد أو إضافة معنى؛ يلغي بعض الأحكام التي أطلقها الناقد القديم على بعض أنواع الاعتراض ووصفت بأنها أتت في الكلام لغير فائدة وأنها غير مستحسنة.

- تؤدي بنية الاعتراض الوظيفة الميتالغوية من خلال العبارات التي تفسر أو توجه دلالة كلمة أو تعبير سابق. وتستهدف بنية الاعتراض - في

وقد التفت ابن أبي الإصبع إلى ما في الاعتراض من تواز يؤدي الوظيفة الشعرية، وذلك من خلال اختيار «جنتي» دون سواها مما يسد مسدّها، فإن اختيارها جاء لتكون في حال تواز (تضادّي) مع كلمة المقطع «جهنم»<sup>(1)</sup>، فضلاً عن التجانس الاستهلاكي بين الكلمتين.

ومن الملاحظ على بنية التوازي في شكلها (ثنائي الاعتراض) و(أحادي الاعتراض) أنها كانت تظهر في نسق شعري يحيل إلى سياق عاطفي ملتهب شوقاً وحرناً ووجلاً، وهو ما يجعل الاعتراض قريباً من الالتفات في تشكله وفي أثره، ما جعل بعض النقاد القدماء يخلط بينهما<sup>(2)</sup>، والالتفات - عند السكاكي (626هـ) - ناتج من صدمة عنيفة يتعرّض لها الشاعر خاصة والإنسان عامة إذا دهمه ما تحار له العقول، وتطير له الأبواب، وتدهش معه الفطن»<sup>(3)</sup>.

## نتائج البحث

- تقع الجملة الاعتراضية - من حيث هي فضلة - في مجال حرية المتكلم، ومن الناحية العملية كان الاعتراض من الوسائل التي كسر بها الشعراء حدة القوانين اللغوية والنقدية، فتمردوا على أمرين، الأول بعض قوانين اللغة التي تفرض نوعاً من الترتاب والالتصاق بين العناصر اللغوية، والثاني بعض القواعد النقدية التي رسخت لمنهج استقلال البيت بوحدته التركيبية والدلالية وتجلى هذا التمرد في ظاهرة التعلق.

(1) ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير، ص 129.

(2) ينظر، أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، ج 1، ص 243.

(3) السكاكي (أبو يعقوب، يوسف بن محمد): مفتاح العلوم، ص 303.

مصكوكة فقدت معناها الأصلي واحتفظت بقوة التأثير في المخاطب، لا بمفهوم التأثير الذي يغير قناعات المخاطب، ولكن بمفهوم قدرتها على لفت انتباهه نحو عناصر الخطاب الأساسية التي تحدث التأثير الحقيقي.

- نبّه البحث إلى أن الإحساس الحاضر بوظيفة ما عند تناول الشعر القديم منخفض إلى حد كبير، قياساً إلى الإحساس بها عند قول الشعر أول مرة، فالفرق بين الخطاب المرسل عبر قناة النطق والمرسل عبر قناة الخطط يكون بارزاً وقوياً. وهذا أمر ينبغي للناقد الحديث أن يأخذه في الحسبان عند مقارنة النص الشعري القديم.

- أدت بنية الاعتراض الوظيفية التعبيرية من خلال حضور الذات المتكلمة بأمالها وآملها، هذه الذات التي تجلّت نصياً في ضمائر المتكلم وأساليب الإنشاء غير الطلبية، والطلبية أحياناً، وتعبيرات أخرى.

- هيمنة الوظيفة الانتباهية على بنية الاعتراض جعل جملة الاعتراض تُفرغ من محمولها الدلالي وتُصرم حبال الإحالة فيها، وهو ما قلل فرص حضور الوظيفة المرجعية في هذه البنية، وانحصر حضورها الثانوي إلى جانب الوظيفة الانتباهية في شكل محدد من أشكال الجملة الاعتراضية هو شكل الجملة الخبرية ذات الطابع الحكمي العام، والتعبير الحكمي مثل بالإحالات؛ لأنه خلاصة تجربة إنسانية طويلة، ويحيل إلى سياق نموذجي.

- اتسم التعبير الحكمي في بنية الاعتراض في معظم نماذجها في الشعر العربي القديم بأربع

هذه الحال - الكلام نفسه، فلا تعبير عن شيء أو حدث أو معنى، وإنما تبين كلمة أو تعبيراً سابقاً، وذلك في سبيل فك الشفرة وتأمين عملية الفهم للكلام المقول، عندما تكون تلك الشفرة غامضة أو ملتبسة أو عامّة. ويدخل في هذا عبارات المحاشاة والاحتراز.

- كشفت الجملة الاعتراضية عن وعي الشاعر القديم بابتدال بعض التعبيرات لدى الشعراء السابقين عليه والمعاصرين له، وهو أمر ينبغي الالتفات إليه في التعامل النقدي الحديث مع الشعر القديم، من حيث إن هذه الظاهرة قد بدأت منذ عصر ما قبل الإسلام. وقد قامت الجملة الاعتراضية بأداء وظيفة الميتالغة لكشف هذا الابتدال وإعادة إحياء وهج المعنى الأول.

- كانت الجملة الاعتراضية تؤدي وظيفة ميتالغوية عندما جيء بها لإقامة الوزن، فهي مفرغة من أي محمول دلالي وتمحّض لقيمتها الإيقاعية؛ مؤدية بذلك وظيفة السّن الشعري، من جهة أن الشعر يوظف النظم الإيقاعية بوصفها شفرات خاصة به.

- أدت بنية الاعتراض الوظيفية التأثيرية من خلال جمل الدعاء، مع كون هذه الجمل جاءت في الغالب لأداء الوظيفة الانتباهية بعد أن أفرغت من معانيها الأصلية، وعليه كانت الوظيفة التأثيرية لوظيفة ثانوية في غالب النماذج الشعرية لبنية الاعتراض. وقد نلمس هيمنة الوظيفة التأثيرية على بنية الاعتراض إذا كانت صيغ الدعاء وما أشبهها ممّا لم يكثر استعماله في الشعر، فإن هذا يجعل معناها محفوظاً ومن ثم أثرها.

- نظر البحث إلى عبارة «لا أبا لك» بوصفها عبارة

الآخر يتموقع في ضرب البيت (المقطع) فيتحقق قدر كبير من التوازي الإيقاعي أو الدلالي.

- كشف البحث عن وعي لساني لدى النقاد القدماء أكثر تقدماً من البلاغيين والنحاة، والنقاد المقصودون هنا أولئك الذين كانوا على احتكاك اختباري طويل الأمد بالنصوص الشعرية (الشرح) أمثال المرزوقي والزوزني.

هذا، ويوصي البحث بأن تُدرَس بنية الاعتراض في ضوء النظريات النقدية الحديثة، في أطر محدّدة زمانياً أو مكانياً أو مدرسياً، وتكون مدعّمة بالإحصاء. كما يوصي بتطبيق نظرية الاتصال لرومان جاكسون على بنى ونصوص أكثر اتساعاً؛ لما تعد به هذه النظرية من نتائج.

## قائمة المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

#### أولا المصادر

1. امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، تحقيق، محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1984م.
2. ابن أبي الإصبع (أبو محمّد، عبد العظيم بن عبد الواحد)، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز.
3. ابن أبي الحديد (أبو حامد، عبد الحميد بن هبة الله)، شرح نهج البلاغة، تحقيق، محمّد إبراهيم، دار الكتاب العربي، بغداد، ط1، 2007م.
4. ابن الأثير (ضياء الدين، نصر الله بن محمّد)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق، أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

سمات، الأولى، أن غالب نماذجها جاء في آخر الصدر، والظاهر أن هذا كان من أجل أن يستقلّ العجزُ بالمعنى الأساسي الذي يقصد إليه الشاعر وتنبّه إليه الجملة الاعتراضية. الثانية، أن أكثر نماذجها جاء في صورة جملة اسمية، وقد ناسب هذا سياق الحكمة لأن الاسم أدل على الثبات والعموم لتجرده من الزمن، وهو ما تحتاج إليه الحكمة لتبقى وتنتشر، وقد كان المبتدأ في هذه الجملة دالاً على العموم من خلال وسيلتين، تعريف المبتدأ بأل الاستغراقية، وتكثيره. الثالثة، أن جلّ الجمل الاعتراضية الحكيمية يتكوّن من لفظين أو ثلاثة، والظاهر أن ذلك يعود إلى الحرص على أن تظلّ الجملة الاعتراضية في حيز الصدر لما ذكرنا من حرص آخر على أن يفرد العجز بالمعنى الأساسي في البيت، ولكونها معترضة في الصدر كان لا بد من وجود ألفاظ أخرى تراحمها فيه فكان هذا داعياً آخر إلى إيجازها، فضلاً عن أن سياق الحكمة نفسه يقتضي الإيجاز. الرابعة، أن معظمها جاء تالياً لضمير المتكلم البارز والمستتر، فأدت هذه الجمل وظيفة تعبيرية واضحة إلى جانب الوظيفة المرجعية.

- لم تتحقّق الوظيفة الشعرية داخل بنية الاعتراض، وإنما تحققت في توازي بنية الاعتراض مع أجزاء أخرى من النصّ الشعري، وفي هذا الإطار وجدنا شكلين للتوازي، الأول، تواز بين جملتين اعتراضيتين (ثنائي الاعتراض)، وكان يتحقّق بطريقتين أفقية ورأسية. والثاني، تواز بين عنصر في الجملة الاعتراضية وآخر خارجها (أحادي الاعتراض)، يكون سابقاً عليها تارة، وتالياً لها أخرى، وفي الحالة الأخيرة كان اللفظ



5. ابن رشيق (أبو علي، الحسن بن رشيق)، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، تحقيق، محمّد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981م.
6. ابن الفَيْم (أبو عبد الله، محمّد بن أبي بكر)، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق، محمّد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
7. ابن منقذ (أبو المظفر، أسامة بن مرشد)، البديع في نقد الشعر، تحقيق، أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة.
8. ابن هشام (أبو محمّد، عبد الله بن يوسف)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق، مازن المبارك ومحمّد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985م.
9. البُسْتِي (أبو الفتح، علي بن محمّد)، ديوان أبي الفتح البستي، تحقيق، دريّة الخطاب ولطفي الصّقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، 1989م.
10. البحتريّ (أبو عباد، الوليد بن عبيد)، ديوان البحتريّ، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه، حسن كامل الصيرفيّ، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1964م.
11. البغداديّ (عبد القادر بن عمر)، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، تحقيق وشرح، عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م.
12. التبريزيّ (أبو زكريّا، يحيى بن علي)، شرح ديوان أبي تمام، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه، راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1994م.
13. الزوزنيّ (أبو عبد الله، حسين بن أحمد)، شرح الملقّات السبع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1972م.
14. السكاكيّ (أبو يعقوب، يوسف بن محمّد)، مفتاح العلوم، تحقيق، عبد الحميد هندويّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2000م.
15. الصوليّ (أبو بكر، محمّد بن يحيى)، كتاب الأوراق - قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، تحقيق، ج. هيورث. دن، الهيئة العامّة لقصور الثقافة، القاهرة، 2004م.
16. العبّاس بن الأحنف، ديوان العبّاس بن الأحنف، شرح وتحقيق، عاتكة الخزرجي، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، 1954م.
17. العبّاسي (أبو الفتح، عبد الرحيم بن عبد الرحمن)، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق، محمّد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت.
18. العسكريّ (أبو هلال، الحسن بن عبد الله)، معجم الفروق اللغويّة، تحقيق، الشيخ بيت الله بيّات ومؤسسة النشر الإسلاميّ، مؤسسة النشر الإسلاميّ، قم، ط1، 1412هـ.
19. العلويّ (يحيى بن حمزة)، الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصريّة، بيروت، 1423هـ.
20. القزوينيّ (أبو عبد الله، محمّد بن عبد الرحمن)، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح، محمّد عبد المنعم خفاجي، الشركة العالميّة للكتاب، بيروت، ط3، 1989م.
21. المتنبّيّ (أبو الطيّب، أحمد بن الحسين)، ديوان أبي الطيّب المتنبّيّ، تحقيق، عبد الوهّاب عزّام، دار الجمهوريّة للصحافة، القاهرة، 2006م.
22. المرزوقيّ (أبو علي، أحمد بن محمّد)، شرح ديوان الحماسة، نشره، أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م.
23. النابغة الذبيانيّ (أبو أمّامة، زياد بن معاوية)،



8. صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998م.
9. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب الدار العربية للكتاب، تونس، ط3.
10. عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م.
11. عبد الله الغدّامي، الخطيبية والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط4، 1998م.
12. عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسمياء الأدب، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2010م.
13. فاطمة الطيّال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكسون، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط1، 1993م.
14. كاهنة دحمون، الجملة الاعتراضية بنيتها ودلالاتها في الخطاب الأدبي - دراسة في ضوء النظرية التداولية، مخبر تحليل الخطاب التابع لجامعة مولود معمري، الجزائر، 2012م.
15. هاشم طه شلاش، ضمرة بن ضمرة النهشلي أخباره وما بقي من شعره، مجلة المورد، المجلد 10، العدد 2، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1981م.
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م.
24. جرير بن عطية، ديوان جرير (بشرح محمد بن حبيب)، تحقيق، نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ط3.
25. كثير عزة (أبو صخر، كثير بن عبد الرحمن)، ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1971م.
26. مجموعة من الشعراء الهذليين، ديوان الهذليين، تحقيق، أحمد الزين ومحمود أبو الوفا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1965م.
27. نصيب بن رباح، شعر نصيب بن رباح، جمع وتقديم، داود سلوم، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1967م.

## ثانياً المراجع

1. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول، 1972م.
2. الزركلي (خير الدين بن محمود)، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م.
3. الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2007م.
4. المجمع الثقافي، الموسوعة الشعرية، أبوظبي، الإصدار الثالث، 2003م.
5. أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1983م.
6. جاكسون (رومان)، قضايا الشعرية، ترجمة، محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1988م.
7. جمال الدين بن الشيخ، الشعرية العربية، ترجمة، مبارك حنون ومحمد الوالي ومحمد أوراغ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1996م.